الحروب اقتلعت ٢٠ مليون نخلة والاهمال عطل زراعة ٢٠ مليون اخرى!

وباء (الدوباس) يصيب ٩٠٪ من النخيل.. ووزارة الزراعة تنتظر الفرج!

حين صودر بستان الحاج (ابو عبد الله) في منطقة الدجيل يوم استباح النظام الدجيل لم تدمع عيناه لكنه لم يستطع منع تدفق دموعه حين شاهد بام عينيه عملية اقتلاع نخيل بستانه. يقول الحاج: لقد اقتلعوا تاريخ ابناء العائلة فقد كان من عادتي ان اغرس نخلة كلما جاء للعائلة مولود جديد. فترتبط بذلك النخلة بتاريخ ولادته وحياته وذكرياته. وحين يعرف هذا المولود بعد ان يكبر ان هذه نخلته، تنشأ بينه وبينها علاقة سرية من نوع خاص، فيحب نوع تمرها، ويكافح مرضها و يجني ثمارها بنفسه.

عامر القيسي

وللسيد سالم حسين حكاية اخرى مع النخلة، فحين اضطر ذات يوم الى بيع داره في بغداد. اشترط على المشتري ان لا يقلع النخلة الوحيدة في الدار، وان يتقاسما تمرها سنوياً وراح يقص على صاحبه تاريخ نخلته، وقد ثبت هذا الشرط في عقد البيع وسط استغراب سمسار العقارات والمحامي ومسجل العقارات. انها حادثة حقيقية وما زالت هذه النخلة تمنح ثمارها مناصفة بين المالك الحالي للدار وصاحب الشرط الغريب منذ خمسة اعوام! النخلة هذا الكائن الجميل.. كيف نسجت خيوط هذه العلاقة الرومانسية بينها وبين الانسان؟ ولم تكتف بهذا الارتباط العميق به فقط.. فمن ان جذورها تنتشر في الارض على مساحة ١٦٠ م٢ وعلى عمق عشرة امتار. وبذلك تحقق معادلة مدهشة ونادرة، اطرافها: النخلة، الانسان، الارض. والغرابة في عمق علاقتها بالحياة ان جذورها تتنفس في الماء، عكس جذور النباتات الارضية الاخرى التي تختنق في الماء ثم تموت!

شعار الحضارات القديمة

يقول الدكتور محمد عبد الله النجم المستشار في وزارة التعليم العالي والبحث العلمي ومعد مشروع تنمية وتكنولوجيا النخيل والتمور في العراق. النخلة بحقيقتها قديمة في التاريخ. فعمرها يمتد الى اكثر من خمسة آلاف سنة قبل الميلاد. اذ تشير المراجع الى انها زرعت في اريدو قبل الطوفان، لان تربتها تعد مثالية لزراعة النخيل، وقد اهتم السومريون والبابليون والآشوريون بزراعتها، وشرعت مواد دستورية من اجل حمايتها. فقد جاء في شريعة حمورابي وفي نص المادة التاسعة والخمسين منها (تغريم من يقطع نخلة واحدة بنصف من الفضة) - المن يساوي ٦٤ كغم). وذكرت في اكثر من باب في دستور ذلك الزمن البعيد. وتشير المصادر الى ان الآشوريين كانوا يقدمون اربعة شعارات دينية منها النخلة، وقد عثر على شعار النخلة منقوشاً على تاج وضع في اعلى محراب يعود الى عصر الملك (اسرحدون) في الفترة ٦٨٠- ٦٦٩ ق.م وان التزيين بالنخلة في بابل كان يظهر على هيئة امرأة ينتشر على اكتافها السعف كالاجنحة. وعلى ذكر ورودها دينياً، فقد ذكرت النخلة في القرآن الكريم (٢١) مرة وقال فيها الرسول محمد (ليس من شجرة اكرم على الله من شجرة ولدت تحتها مريم بنت عمران).. وحسب عالم النخل الايطالي (دوردو بيكاي) فان موطن النخل الاصلي هو الخليج العربي.

العراق اولاً

حسب احصاءات عامي ١٩٥٢-١٩٥٣ يؤكد الدكتور النجم كان في العراق ٣٢ مليون نخلة ووصل العدد الى ٣٤ مليون نخلة في بداية السبعينيات وكان يتقدم دول العالم جميعاً باعداد النخيل. اذ كان هناك ٩٠ مليون نخلة في العالم ثلثها في العراق. ومن حيث الاصناف فهناك ٦٣٠ صنفاً عالمياً، واكثر من (٤٠٠) منها تأتي من العراق واجود انواع التمور في العالم توجد في منطقة التقاء دجلة بالفرات نزولاً الى اكثف مناطق النخيل في (ابي الخصيب).

وحسب تقرير الهيئة العامة للارشاد والتعاون الزراعي فانه في مقابل (٤٠٠) انثى من النخيل، هناك ستة اصناف فقط من الذكور فضلاً عن ان النخلة لها ميزة توليد اصناف جديدة ذاتياً لكن ضعف الدراسات المتخصصة يجعل من الصعوبة دراسة هذه الظاهرة الفريدة.

تدني الاعداد!

اشار احصاء عام ١٩٩٧ الى تدن خطر في اعداد النخيل في العراق. فقد تراجع العدد الى ١٦ مليون نخلة وتواصل تراجع الاعداد الى ١٣ مليون نخلة في عام ٢٠٠٣، وفي محافظة البصرة وحدها سجل احصاء ٥٢- ١٩٥٣ وجود ١٣ مليون نخلة، تدنت اعدادها الى ٢,٧ مليون عام ١٩٩٧، وشمل هذا التراجع معظم اماكن زراعتها ولا سيما في منطقة الفرات الاوسط التي وصلت اعداد النخيل فيها الى ٣,٣٧٠ مليون. وقد اثر ذلك سلباً في موقع العراق الريادي في التصدير كان العراق يعد الدولة المصدرة الاولى في العالم حتى عام ١٩٨١، وبعد اندلاع الحرب العراقية - الايرانية، تراجعت كميات التمور المصدرة وقل تسويقها، بسبب الآثار السلبية للحرب على بساتين النخيل مما ساعد على هجرة اعداد هائلة من الفلاحين وعزوف الناس عن خدمة بساتينهم وتحولت بساتين ابي الخصيب في البصرة الى ساحة للعمليات العسكرية.

مجزرة مليونية!!

تعرض نخيل العراق الى مجزرة حقيقية، يقول الدكتور وائل الرفاعي رئيس هيئة البحث العلمي في وزارة التعليم العالي وبلغة الارقام ذهب ضحية هذه المجزرة نحو (٢٠) مليون نخلة بسبب الحرب والاهمال فضلاً عن خسارة الاعداد المتوقعة للفسائل التي كان يجب زرعها خلال العشرين سنة الاخيرة والتي تقرب اعدادها من (٢٠) مليون فسيلة ولم تتم زراعتها. وبذلك فقد العراق موقعه كأول بلد للتخيل في العالم. واكد الدكتور النجم، ان اهم سبب للتراجع والتدني يعود الى الحروب اولا والى بيع ملايين النخيل والفسائل الى دول اخرى. ويروي لنا مشهداً لاحدى هذه المجازر، يقول: بين نهري الخورة وحمدان بساتين غناء وثرية بزراعة النخيل المتنوعة الاصناف وتعد من اجود الانواع (البرحي، اللبوي، الخستاوي، الخضراوي) فضلاً عن الانواع التجارية (الحلاوي والساير). جاءت وحدات عسكرية جرفت تربة البساتين واقامت سدة بطول اثنين ونصف كيلومتر وارتفاع ثلاثة امتار لسير الاليات العسكرية وبذلك فقدت النخلة اخصب تربتها اولاً وانقطعت عن مصادر المياه التي تأتيها مرتين في اليوم بسبب المد والجزر واغلقت او جففت انهار سقي بكاملها خوفاً من تسلل الضفادع البشرية ودفعت النخلة ثمن هذه الحماقات الحربية، فضلاً عن ذلك كله بدأت انسيابية مياه المبزل الرئيس القادم من بغداد الى البصرة (بطول ٥٦٠ كم) بإشباع اراضي زراعة النخيل بالملوحة العالية، ففي الوقت الذي تتحمل النخلة مستوى ملوحة يبلغ ٣٠٠٠ جزء في المليون ارتفعت هذه النسبة الى ٦٠٠٠ جزء في المليون، لذلك تحولت نخيل مناطق السلبيات وصنكر وحمدان الى مجرد اشباح!

ويضيف: واخبرنا اكثر من صاحب بستان نخيل في البصرة من منطقة السدود العسكرية ايام الحرب، ان اعادة التربة الى بساتينهم ومن ثم عودة السقي الطبيعي امر خارج امكاناتهم وما زالت ، فالسدة التي عملها الجيش على حالها ونحن نتفرج على نخيلنا الذاوي منذ سنوات.. بضعف التربة. وقلة المياه والملوحة العالية، ومرض الدوباس. يقول حسين المالكي صاحب بستان نخيل: لقد كنا نصدر التمور الى كل الدول ولا سيما دول الخليج والان نستورد التمور من الامارات. وهذه الدولة تحولت من آخر دولة في قائمة الدول التي تنتج التمور الى اول دولة في العالم، حسب ما قيل لي. وقد اكد لنا الدكتور محمد النجم هذه المعلومة، واضاف: ان جهود خبراء النخيل في الامارات من الكادر العراقي

تقنية الزراعة النسيجية هل تعيد للعراق تصنيفه العالمي بوصفه اول منتج ومصدر للتمور؟

المتخصص هو الذي رفع هذا البلد من اخر القائمة الى اولها! واستمر قائلاً بكل الم: ان عملية زراعة النخيل في العراق والحفاظ على الموجود منه تمران بكارثة وطنية حقيقة ونحن نبحث عن مخرج!

وزارة الزراعة ماذا تفعل؟

لا احد يعلم حقيقة لماذا بقيت وزارة الزراعة تنتظر تنفيذ عقد شراء الطائرات الزراعية لمكافحة الامراض من شركة اردنية، حتى اصيبت النخيل بمرض (الدوباس) الفتاك؟ وهل نرهن هذه الثروة الاقتصادية المهمة لمزاجيات ومصالح الشركات ربما كانت تتعمد الاضرار لمآرب اخرى؟! وارني جدية الوزارة في النظر الى الكارثة التي تحل بمستقبل النخيل في بلدنا؟ كل تبريرات الوزارة تنصب على موضوعة عدم التزام الشركة الاردنية ببنود العقد المبرم معها لتزويدها بالطائرات الزراعية. الا توجد مصادر اخرى؟ الا توجد اساليب اخرى لمكافحة افة (الدوباس) غير الاعتماد على الطرق التقليدية والرسمية التي اهدرت وتهدر هذه الثروة الغذائية والصناعية التي لها تأثير على جوانب مختلفة من حياتنا اليومية. اسئلة نوجيهها الى وزارة الزراعة علها تصحو من غفوتها! هل تبقى مكتوفة الايدي امام حجم الكارثة التي تحل بنخلتنا العزيزة المهملة؟ وهل تتحرك بسرعة لانقاذ ما يمكن انقاذه من النخيل؟ هل بامكانها ان تكون شفافة وواضحة للحديث عن حجم الخسائر التي تعرض لها الاقتصاد العراقي في هذه الظروف نتيجة اللامبالاة وعدم حسبان احتمال عدم التزام المجهز بالطائرات السحرية هذه! وغيرها من بنود الاتفاق؟ اليس من الممكن ان تتكرر مثل هذه الحالة مع عقود العلف والمواد الكيمياوية والمعدات الاخرى، وبالتالي نجلس ننتظر الفرج من المجهزين غير الملتزمين؟ لماذا لا يجري البحث عن مناشيء صادقة لا حصر لها والاجابة عند من يعرف الحقيقة فقط!! مجموعة هذه الاسئلة ليس من باب الاستفزاز وانما هي اسئلة المزارع والمختص والمستهلك والبائع. شاركنا في ذلك الدكتور محمد النجم الذي يلقي باللائمة على وزارة الزراعة ويحملها مسؤولية ما حل بنخيلنا خلال السنتين الاخيرتين ، ويضيف ان وزارة الزراعة قد تخلفت كثيراً عن اداء دورها في مكافحة وبائي (الدوباس والحميرة) وهما يهددان ثروتنا هذه. وكان بامكانها استعارة بعض الطائرات من أي مصدر (شقيق او صديق) لكنها للأسف الشديد ليس لديها الديناميكية المطلوبة لمواجهة مثل هذه الكوارث الاقتصادية والبيئية وبالتالي اصبحت تشبه نسبة النخيل المصابة بهذين المرضين ٩٠٪. هل هناك كارثة اكثر ايلاماً وخسارة مما يحصل؟ التمور تبكي بسبب وباء الدوباس وانني اسأل اما كان بامكان الوزارة ان تعطي المبيدات للمزارعين ليقوم كل منهم بدوره ورعاية مصالحه في الاقل في مكافحة امراض النخيل؟

النخلة والحياة

يقول دكتور التغذية البشرية سامر عبد اللطيف، المسؤول في منظمة التغذية العالمية، في مقال له بنشرة (الفقر والتغذية) ان فاكهة التمر التي يمكن توفيرها للمجموعات البشرية التي تعاني سوء التغذية بامكانها ان توفر للجسم البشري معظم احتياجاته من الفيتامينات والاملاح والمعادن المختلفة وهي اجود انواع الفاكهة واغناها في العالم. وحتى المرأة في مرحلة النفاس ننصحها بالاكثار من تناول التمور، ويستطيع التمر ان يديم حياة انسان يتغذى عليها لثلاثة اشهر من دون تناول مادة غذائية اخرى معه.

وحسب مصادر طبية اخرى بامكان التمر ان يحتفظ بكامل طاقته الغذائية حتى بعد مرور سنتين عليه دون الحاجة الى حفظه باي طريقة من طرق حفظ الاغذية المعروفة، وبامكان هذه الثمرة العجيبة ان تعالج الكثير من الامراض.

في غير الجانب الصحي، يقول دكتور وائل فان كل شيء في النخلة يمكن الاستفادة منه من القمة حتى الجذر. شجرة عجيبة لا شيء فيها من دون فائدة.

يقول المهندس المدني عباس احمد ان خيط الليف الذي يحيط بجذع النخلة له خاصية شد عالية تعادل قوة شد خيط مساو له في السمك من معدن (الستانلستيل)، وهناك تجارب لاستخدامه بعد معاملته ببعض المواد وتخليصه من تأثير الرطوبة عليه. وبالامكان استخدام كل مكوناتها الاخرى في اشكال متنوعة من البناء والديكورات الداخلية فضلاً عن استخدامات صناعية اخرى، ويضيف الدكتور محمد النجم ان الصناعات المستخرجة من التمر متنوعة وداعمة للاقتصاد الوطني، مثل السائل السكري، منتجات غازية ، خل، علف حيواني بنوعية جيدة جداً.

خبير نخيل عراقي: سياسة سليمة في زراعة النخيل وتصنيع التمور تؤمن مورداً للعراق يضاهي مدخولات النفط!

مشاريع ناجحة

بالامكان خلق نخلة، من نسيجها نفسه، وهو ما نطلق عليه علمياً، الزراعة النسيجية، يواصل د. النجم، وهي احدى ميزات هذه الشجرة ايضاً، اذ يتم اخذ جزء من القمة النامية. او ما يسمى (الجمارة) وصنع ملايين الفسائل منها، وهذه تجارب بدأت في مركز الانسجة النباتية في جامعة البصرة، حيث يوضع جزء من الجمارة في وسط (ناب) صغير لتصنيع الخلية منه ثم بعد فترة قليلة (شهر او شهرين حسب نوع النخلة) بالامكان نقل هذه الخلية الى التربة الصالحة لها لتصبح نخلة فيما بعد! وهذه الطريقة هي الاكثر تأثيراً في اعادة الحياة الى عالم النخيل، وسابقاً نفذنا مشروع اعادة زراعة العديد من البساتين في منطقة الاهوار، تبناها قسم التربة والمياه في جامعة البصرة حيث تم بناء خمسة مواقع بواقع ١٥٠ الف نخلة ومساحة كل موقع عشرون دونماً، وسلم الى المزارعين وتجربة اخرى عام ١٩٧٧، عندما انشأنا مشروعاً رائداً في الصحراء الغربية (البرجسية) وتمت زراعة النخيل فيه مع اشجار اخرى، وكانت النتيجة ١٠٠٪ ومازالت النخيل موجودة في هذه المنطقة حتى الان.

طريق الانقاذ

من حوارات متعددة مع مختصين بامور النخيل في العراق، وبالاطلاع على تقارير مقدمة الى مراكز البحوث العلمية في وزارة التعليم العالي ومن خلال محضر اجتماع اللجنة المختصة بشؤون النخيل، برئاسة الدكتور محمد عبد الله النجم في ٢/ ١٢/ ٢٠٠٤، نستطيع ان نلخص اهم الوسائل والطرق الكفيلة بأمجاد النخلة العراقية التي يقول معظم الخبراء ان ازدهار زراعتها وصناعتها تشكل دعماً قوياً للاقتصاد العراقي لا يقل اهمية عن دور النفط! وذلك بـ:

اولاً: اعادة تأهيل المركز الاقليمي للنخيل والتمور في بغداد واعادة خبراء النخيل العراقيين من الخارج للاستفادة من خبرتهم العالمية لاعادة تفعيل دورهم في المركزين الاقليمي والعراقي.

ثانياً: دعم ابحاث زراعة وصناعة النخيل والتمور في جامعة البصرة لتطوير الامكانات البحثية والمختبرية والحقلية في مجال تكثير النخيل بوساطة زراعة الانسجة للنخيل ذات النوعية الممتازة.

ثالثاً: القيام بحملة واسعة لمكافحة الافات الوبائية وبرامج اخرى لعمليات جني المحصول وتعبئته وتصديره.

رابعاً: انشاء مزارع نموذجية تكون التقنية الحديثة وسيلة لخدمتها.

خامساً: تطوير الصناعات الغذائية المعتمدة على التمور ومخلفاتها.

سادساً: دعم المزارعين في جميع المستويات وتشجيعهم لزراعة النخيل والاعتناء بها وتأهليهم لهذا الدور.

دار ونخلة!

هناك الكثير من المقترحات والبرامج التفصيلية التي تصب كلها في خدمة (عمتنا) النخلة العزيزة لو حركت وزارة الزراعة نفسها ونفضت عن كاهلها غبار الاسترخاء في العمل واعتمدت على الية حيوية ومنتجة ادارياً وفنياً لربما استطعنا استعادة رقمنا الاول على قائمة الدول الزارعة للنخيل والمنتجة والمصدرة للتمور.

وليس من باب الطرافة ، مثلاً، ان تطالب امانة بغداد لعدم منح اجازة بناء لاي دار دون ان يقوم طالب الاجازة بزراعة نخلة واحدة على الاقل في حديقة الدار!